معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي

قراءة في الحادث الإرهابي في موسكو

إعداد: د. فؤاد ربايعة

باحث في وحدة الأبحاث والدراسات الدولية

الإرهاب يضرب موسكو من جديد

أدى الهجوم الذي شهدته موسكو مؤخراً في قاعة للحفلات الموسيقية، وتبناه تنظيم" الدولة الإسلامية–داعش" إلى مقتل 143 شخصاً على الأقل. وسبق أن إستهدفت هجمات عديدة العاصمة الروسية في السنوات الـ 25 الأخيرة، حيث تعرضت روسيا في تاريخها للعديد من الهجمات الإرهابية: في عام 1999 أدى هجوم بتفجيرات في مبنى سكني في شرق موسكو الى مقتل 118 شخصاً، حيث تم إتهام الشيشان، وبدأت بعدها حملة عسكرية ضد الانفصاليين الشيشان. في عام 2002 تم اقتحام مجموعة من المتمردين الشيشان مسرح دوبروفكا في موسكو خلال حفل موسيقي، وانتهت العملية بمقتل 130 من الرهائن. وفي عام 2003 فجرت إنتحاريتان نفسيهما خلال حفل لموسيقى الروك في مطار توشينو قرب موسكو، ما أدى إلى مقتل 15 شخصاً وإصابة قرابة 50 آخرين. وفي العام التالي 2004 فجرت مجموعة شيشانية غير معروفة قنبلة في محطة مترو مكتظة في موسكو، ما أدى إلى مقتل 41 شخصاً. في 2010 فجرت إنتحاريتان نفسيهما في محطة مترو في موسكو قتل فيها 40 شخصاً في الهجومين. وفي عام 2011 هاجم إنتحاري قاعة الوصول في مطار دوموديدوفو الدولي مودياً بحياة 37 شخصاً.

وجاء الهجوم الإرهابي في 22 مارس 2024 إستمراراً لتلك الهجمات التي تعرضت لها روسيا في السنوات السابقه، وقد كانت نتيجة هذا الحادث الارهابي مقتل نحو 143 شخصاً وأصيب قرابة 150 آخرين في الهجوم الذي وقع في ضاحية كراسنوغورسك شمالي غربي موسكو، حيث إقتحم مسلحون صالة كروكوس خلال حفل لموسيقى الروك وأطلقوا النار

على الحاضرين، كما أشعلوا النار في المبنى، وفقاً للجنة التحقيقات الروسية. وبناء على التحقيقات إعتقلت السلطات 11 شخصاً، بينهم 4 يشتبه في أنهم المنفذون، في مقاطعة بريانسك الروسية قرب الحدود الأوكرانية، وقال جهاز الأمن الفدرالي الروسي إنهم كانوا يخططون لعبور الحدود، وكانوا على تواصل مع أشخاص على الجانب الأوكراني. مَثُل الأربعة المشتبه فيهم –وهم من أصول طاجيكية– أمام محكمة في موسكو، حيث صدر قرار بحبسهم على ذمة التحقيقات بتهمة الإرهاب، كما أعلن تنظيم الدولة الإسلامية– ولاية خراسان مسؤوليته عن الهجوم، وهو ما توافق مع إتهامات الولايات المتحدة وفرنسا للتنظيم.

وفي ظل الاحداث الراهنة تعالت أصوات منتقده النقص الواضح في الأمن الكافي في مدينة كروكوس، وهي مكان ضخم للترفيه والتسوق، وعدم إتخاذ إجراءات كافية لمنع هكذا هجوم. ومن هذه الانتقادات كانت من الحكومة الامريكية، التي ادعت تحذيرها المسبق للحكومة الروسيه عن إحتمالية وقوع أعمال إرهابيه في موسكو. كما زجاء النقد من قبل أحد رجال الأعمال في موسكو، حيث قال: "إن مدينة كروكوس مكان ضخم يضم العديد من قاعات الحفلات الموسيقية"، مشيراً إلى أن مكاتب حكومة موسكو الإقليمية قريبة، إذ كان ينبغي أن تكون هناك إجراءات أمنية جدية، وكان ينبغي أن يكون هناك كثير من رجال الشرطة". وتابع ذات الرجل، الذي تحدث شريطة عدم الكشف عن هويته "هناك نقص في المسؤولية عن الأمن في المناسبات العامة الكبيرة".

وقد يكون محقاً السؤال حول الموقف الروسي من هذا الحدث الإرهابي، وقد تجلى هذا الموقف فيما صرحه الرئيس بوتين: بأن الهجوم الذي إستهدف قاعة للحفلات الموسيقية في موسكو نفّذه من وصفهم بالمتطرفين الإسلاميين، لكنه أثار تساؤلات عن دوافعهم، في حين نشرت وكالة رويترز تفاصيل عن مرور هؤلاء المشتبه فيهم عبر تركيا. وقد أضاف بوتين، خلال إجتماع حكومي نقل التلفزيون وقائعه، "نعلم أن الجريمة ارتكبها متطرفون إسلاميون، يحارب العالم الإسلامي بنفسه أيديولوجيتهم منذ قرون"، لكنه استدرك بأن الهجوم يتسق مع حملة أوسع من تهديدات أوكرانيا لبلاده.

ورأى الرئيس الروسي أن "من الأهمية بمكان الإجابة على السؤال المطروح حول السبب الذي دفع الإرهابيين، بعد إرتكاب جريمتهم، لمحاولة التوجه إلى أوكرانيا، من كان ينتظرهم هناك؟". وتنفي كييف أي ضلوع لها في الهجوم. وأضاف بوتين "ربما يكون هذا العمل الفظيع حلقة فقط في سلسلة من محاولات من يحاربون دولتنا منذ 2014 بيد نظام النازيين الجدد الحاكم في كييف". وذكر الرئيس الروسي أن من خططوا للهجوم "كانوا يأملون في زرع الفزع والخلاف في مجتمعنا، لكنهم قوبلوا بوحدة وإصرار على مقاومة هذا الشر". وقال أن أجهزة الأمن الروسية، خاصة جهاز الأمن الفيدرالي الروسي ستكشف عن خيوط هذه العملية التى يراد بها لفت الانتباه عن حقيقة المعركة الجارية"، كما أثارت إتهامات الكرملين مخاوف في أوروبا من أن بوتين قد يستخدم مذبحة موسكو لتبرير التصعيد في أوكرانيا، الذي دخل الآن عامه الثالث. وقال المتحدث بإسم السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي بيتر ستانو: "نرفض ذلك، لا يوجد ما يشير أو دليل على أن أوكرانيا مرتبطة بالهجوم"، مضيفاً: "ندعو السلطات الروسية لعدم إستخدام الهجوم الإرهابي في موسكو كذريعة أو دافع لزيادة العدوان غير القانوني على أوكرانيا، أو إستخدامه كذريعة لزيادة القمع الداخلي ضد منتقدي النظام الروسي" ويبقى الرد قائماً عند روسيا وهذا ما يثير مخاوف أوروبا والغرب.

لاحقاً شككت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الروسية ماريا زاخاروفا في تأكيدات الولايات المتحدة أن تنظيم "داعش"، الذي سعى ذات يوم للسيطرة على مساحات كبيرة من العراق وسوريا، هو المسؤول عن هجوم موسكو. وقالت زاخاروفا في مقال لصحيفة كومسومولسكايا برافدا "سؤال للبيت الأبيض: هل أنت متأكد من أنه تنظيم "داعش"؟ هل يمكنك التفكير في الأمر مرة أخرى؟". وأضافت أن الولايات المتحدة تستخدم "فزاعة" تنظيم "داعش" لتغطي على أفعالها في كييف، وذكّرت القرّاء بأن واشنطن دعمت "المجاهدين" الذين خاضوا قتالاً ضد القوات السوفيتية في الثمانينيات.

وقال مسؤولان أمريكيان يوم الجمعة الماضي إن الولايات المتحدة لديها معلومات تؤكد إعلان تنظيم "داعش" مسؤوليته عن الهجوم. وقال بوتين إنه جرى القبض على 11 شخصاً، من بينهم المسلحون الأربعة المشتبه بهم، الذين فرّوا من

قاعة الحفلات الموسيقية وشقوا طريقهم إلى منطقة بريانسك، على بعد حوالي 340 كيلومتراً جنوب غربي موسكو، للتسلل عبر الحدود إلى أوكرانيا.

استناداً لما تقدم السؤال المطروح : لماذا روسيا ولماذا في هذا التوقيت تحديداً ؟

فقد أوضح بعض المفكرين أن الهجوم الإرهابي في موسكو مريب في توقيته، لأنه جاء عقب فوز الرئيس فلاديمير بوتين في الانتخابات وعقب تحذيرات السفارة الأمريكية والبريطانية. حيث أن الهجوم على حفلة في موسكو مريب، مريب أولاً في توقيته لأنه جاء عقب الفوز الساحق للرئيس الروسي فلاديمير بوتين في الانتخابات الأخيرة، وثانياً جاء عقب تحذيرات من السفارة الأمريكية والبريطانية التي تواترت خلال الأسابيع الأخيرة حتى من قبل إجراء الانتخابات الرئاسية الروسية. وتزايدت الريبة مع البيانات الأمريكية التي صدرت عقب الحادث المفجع، نلحظ أولاً في هذه البيانات تبرئة كاملة للطرف الأوكراني، كما نلحظ في هذه البيانات أيضاً أنها جاءت عقب تحذير من السفارة الأمريكية قبل 48 ساعة عن وقوع الهجوم. كما يلاحظ في التطورات التي تكشفت عقب الحادث حتى اليوم أن الهجوم قد نفذته جماعة إرهابية كـ"داعش"، ومن المفترض أن هذه الجماعات تستخدم كأدوات غربية.

وفي ظل صمت أمريكا عن فعل أي شيء في المنطقة مع حرب الإبادة الجماعية على غزة، والشبهات تكاد تكون ناتجة ومؤكدة بحق الغرب الذي يستخدم هذه الجماعات في تنفيذ إرهابيته في روسيا، ولها سوابق بكل تأكيد، وكانت قد إختفت لفترة طويلة جداً"، وأن عودتها هي جزء من الأفعال الغربية الأمريكية البريطانية تحديداً لمحاولة إحداث نوع من تشتيت الإنتباه عن التطورات على جبهة أوكرانيا التي تتقدم فيها روسيا إلى إنهاك وإلى ما يشبه الهزيمة الاستراتيجية للغرب".

ومن الجدير بالذكر ان هذه العملية جرت في ذات اليوم الذي إستخدمت فيه روسيا حق الفيتو ضد القرار الأمريكي الذي حصر تهمة ما يجري في غزة على حماس وبقية الفصائل الفلسطينية، محاولاً إنقاذ إسرائيل بفرض شروط

لصالحها، كوقف إطلاق النار مرتبطاً بإطلاق سراح كافة ما يسمونهم بالمحتجزين الإسرائيليين".

بات من الملاحظ أن هناك تحولات وتطورات في الموقف الروسي تجاه القضايا الدوليه والإقليميه، وأصبح جلياً الحضور الروسي خاصة بعد العمليه العسكريه في أوكرانيا، والتي تسعى الى استعادة دورها ونفوذها، ويأتي ذلك في إطار الصراع العالمي حول صياغة نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب، تتطلع روسيا أن تكون فيه قطباً رئيسياً، وهذا ما يتعارض مع المصالح الامريكيه والغربية في النفوذ والدور العالمي. وقد يكون ذلك أحد أهم الأسباب والدوافع لإرهاق روسيا وتعرضها لهكذا إعتداءات إرهابيه. وتحظى القضية الفلسطينية نظراً لمركزيتها الحضاريه وبحكم الجغرافيا السياسيه بإهتمام القيادات الروسية عبر تاريخ القضيه الفلسطينية. وقد تجلى ذلك في المحطات المختلفه في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي وفي كافة المحطات السياسيه والعسكريه، من خلال دعمها التاريخي لمنظمة التحرير الفلسطينيه المتعدد المجالات لصالح القضية الفلسطينية، واتضح ذلك ايضاً في المواقف الدبلوماسيه الروسيه المساندة للقضيه الفلسطينيه في الهيئات الدوليه. وإنسجاماً مع الموقف الروسي التاريخي تجاه القضيه الفلسطينيه كان الموقف الروسي بارزاً منذ بداية العدوان الإسرائيلي على قطاع غزه، واتخاذها مواقف مساندة للحق الفلسطيني في قرارات مجلس الأمن الأخيره بخصوص وقف العدوان، ومطالبتها بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني بإقامة دولته الفلسطينيه المستقله.